



كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر



مجلة دولية علمية محكمة - يصدرها قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر

International Scientific Journal issued by The Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences - Qatar University

أنساك
ANSAQ



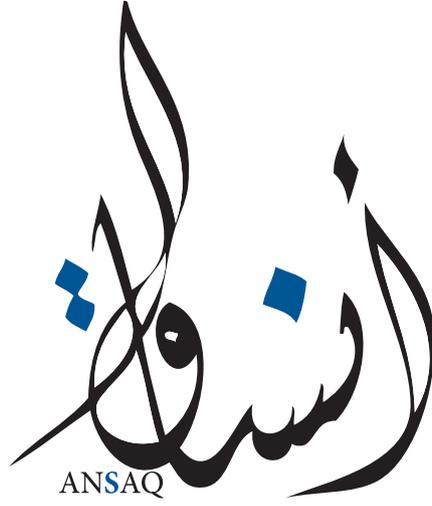
ON LINE-ISSN: 2520-7148

PRINT-ISSN: 2520-713X

فبراير
2018

العدد
1

المجلد
2



مجلة علمية دولية محكمة
تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

المجلد الثاني
العدد الأول - فبراير 2018م

المجلد الثاني، العدد الأول

فبراير 2018م

لوحدة غلاف العدد «الغروب» للفنان القطري حسن الملا

شعار اسم أنساق بخط: إبراهيم أبو طوق

للمراسلات

قطر – الدوحة، ص ب 2713 جامعة قطر. كلية الآداب والعلوم – قسم اللغة العربية – مجلة أنساق

المراسلات باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني للمجلة : ansaq@qu.edu.qa

الموقع الإلكتروني للمجلة : www.qu.edu.qa/ansaq

التقييم الدولي الإلكتروني : Online-ISSN:2520-7148

الرقم الدولي : Print-ISSN:2520-713X

هاتف رقم : + 974-4403-6441 + 974-4403-4823

فاكس رقم : + 974-4403-4501

رقم الإيداع : 445/2016



مجلة علمية دولية محكمة
تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

* المدير العام *
الدكتورة مريم النعيمي
رئيس قسم اللغة العربية

* مدير التحرير *
د. أحمد حاجي صفر

* الإشراف العام *
الدكتور راشد أحمد الكواري
عميد كلية الآداب والعلوم

* رئيس التحرير *
أ.د. عبد القادر فيدوح

* هيئة التحرير *
امتنان الصمادي
رامي أبو شهاب
رضوان المنيسي
عبد الله الهيتاري
عماد عبد اللطيف
عمرو محمد فرج مدكور
محروس بريك
محمد مصطفى سليم
هيا محمد الدرهم
علي فتح الله
لولوة حسن العبد الله

* الهيئة العلمية *
حافظ إسماعيلي علوي
حبيب بوهروور
رشيد بوزيان
عبد السلام حامد
مبارك حنون
محمود الجاسم
مراد مبروك
مصطفى بوعناني

* الهيئة الاستشارية *
حمد بن عبد العزيز الكواري (قطر)
سعيد يقطين (المغرب)
شكري المبخوت (تونس)
عبد العزيز عبد الله تركي السبيعي (قطر)
عبد الله العشي (الجزائر)
عقيل مرعي (إيطاليا)
علي الكبيسي (قطر)
فاضل عبود التميمي (العراق)
مصطفى قرقرز (تركيا)
هادي حسن حمودي (بريطانيا)
Eric Gautier (France)
Luc Deheuvels (France)

قواعد النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث العلمية الرصينة باللغة العربية في حقل الآداب والعلوم الإنسانية.
2. تخضع البحوث المنشورة للتحكيم على نحو سري.
3. يجب ألا يقل عدد كلمات البحث عن 4000 كلمة، ولا يزيد عن 8000 كلمة.
4. ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة.
5. أن تتضمن الصفحة الأولى من البحث:
 - ✻ عنوان البحث باللغة العربية،
 - ✻ اسم الباحث باللغة العربية،
 - ✻ اسم الجامعة،
 - ✻ البريد الإلكتروني،
 - ✻ ملخص البحث باللغة العربية (فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
 - ✻ الكلمات المفتاح (لا تزيد عن سبع كلمات)
6. أن تتضمن الصفحة الثانية من البحث:
 - ✻ عنوان البحث باللغة الإنجليزية،
 - ✻ اسم الباحث بالحرف اللاتيني،
 - ✻ اسم الجامعة بالحرف اللاتيني،
 - ✻ البريد الإلكتروني،
 - ✻ ملخص البحث باللغة الإنجليزية (في فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
 - ✻ الكلمات المفتاح باللغة الإنجليزية (لا تزيد عن سبع كلمات)
7. توضع الهوامش في أسفل كل صفحة، وتكون مربوطة بشكل آلي بالمتن. كما يبدأ ترقيم الهوامش عند بداية كل صفحة جديدة.
8. إذا تكرر ذكر المرجع في الصفحة نفسها، يشار إليها بـ "المرجع نفسه".
9. توثق الإحالات على النحو الآتي: يذكر اسم المؤلف العائلي فالشخصي، ثم عنوان الكتاب أو المقال، ورقم الصفحة. (على أن يوثق المرجع بشكل كامل في لائحة المصادر والمراجع ويكون ذلك على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، الجزء / أو العدد، الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع).
10. أي بحث لا تتوفر فيه الشروط الشكلية المذكورة يستبعد تلقائياً دون النظر في محتواه.

فهرس السرد

استهلال السرد

11 سعد مصلوح نحو صناعة معرفية ثقيلة

متون السرد

15 محمد مصطفى سليم التخيل المخاتل، من فقر الثيمة إلى تجريب شعرية السرد الغرائبي، دراسة بعض مظاهر الحداثة في الرواية العربية المعاصرة.

39 حسني مليطات العلاماتية، وتكوين البناء السرد في رواية «مطر حزيان» للروائي اللبناني جَبور الدويهي.

51 عبد القادر فيدوح تمثلات الكولونيلالية الجديدة في رواية «2084 حكاية العربي الأخير».

69 يسرى التمراري استراتيجيات الاعتبار في السيرة الذاتية «كتاب الاعتبار» لابن منقذ أنموذجا.

قراءة السرد

83 حبيب بوزوادة إشكالية المعنى في ضوء النظرية السياقية.

97 عبد الكريم محمد حسين قراءة النص الأدبي. المعنى وآلية الفعل.

115 أحمد بوزيان شعرية المصطلح الصوفي من بنية التآلف إلى بنية التضاد.

دلالات السرد

135 مصطفى غلفان دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول.

157 سالم عبد الرب السلفي الأُرْجُومة، خصائص العبارة الأخيرة في النصِّ الحجاجيِّ وأنواعها (دراسة في ضوء الأسلوبية التداولية).

175 محمد بلبول بعض توجّهات البحث التطبيقي في اللسانيات التوليدية.

دلالت أنساق

دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول

د. مصطفى غلفان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء عين الشق
جامعة الحسن الثاني

اقترن كتاب دروس في اللسانيات العامة Le cours de linguistique générale الصادر سنة 1916 باسم دو سوسير Ferdinand de Saussure بإشراف وعناية شارل بالي Charles Bally وزميله سيشهاي Albert Sechehaye (وهو ما نسميه نشرة بالي). ويقدر ما كانت نشرة بالي حاسمة في تلقي تصورات سوسير والتعريف بها على نطاق واسع، بقدر ما كانت مصدر سوء فهم وجدل بشأن بعض من مفاهيمها، ذلك أن تلقي «دروس» إيجابياً لم يكن ليُحجَب الالتباس والارتباك الذي لامس جوانب أساسية وحاسمة من التصورات الواردة فيه، ولا سيما القضايا والمفاهيم مثل: موضوع اللسانيات، وثنائية لسان/كلام، والعلامة والبدال والمدلول، والاعتباطية، والقيمة، والدلالة، والمعنى، والصورة، وتمييز اللسانيات التعايقية عن اللسانيات التزامنية. وأشارت بعض الدراسات النقدية إلى ما تضمنته بعض فقرات دروس من التباس بسبب سوء الصياغة. ونص دروس؛ مُشكّل لا بمضامينه وتصويراته وحسب؛ وإنما أيضاً بطبيعته الفريدة كنص وهي طبيعة تطرح أسئلة تمس علاقة المؤلف بعمله:

وظلت نشرة 1916 بالرغم من كل الملاحظات النقدية، الوثيقة الوحيدة التي تحيل على تصورات سوسير. لكن ملامح منعطف جديد في التعامل مع نشرة بالي، بدأت تلوح في الأفق مع أعمال روبرت غودل Robert Godel 1902-1984 حين شرع سنة 1954 في نشر نصوص جديدة منسوبة إلى سوسير وإلى الطلبة الذين استمعوا مباشرة إلى دروسه وهو العمل الذي طوره المحقق رودولف إنغلر ما بين 1968 و1974 في طبعته النقدية الهائلة لنشرة بالي. وبفضل صرامة الدراسات الفيلولوجية التي قامت بتحليل نصّ دروس تحليلاً فيلولوجياً دقيقاً وشاملاً في ضوء مقارنته بمصادره الأصول. ويتجسد تدخل الناشرين في جوانب من المناولات الفيلولوجية والمنهجية الأساس التي قام عليها إعداد نص دروس وإخراجه، أبرزها: عدم تجانس المادة المعتمدة في دروس، وتغيير الترتيب الأصلي لموضوعات الدروس وتعديل المنظومة المصطلحية، وأخيراً إهمال الناشرين لحركية تصورات سوسير وتحولاتها اللحظية، فضلاً عن تأويلهما الخاص لتصورات سوسير.

وسنحاول في هذا المقال تقديم بعض الأمثلة الملموسة التي كشف عنها المحققون الجدد لنص دروس في اللسانيات العامة من خلال تبيان الاختلافات الفيلولوجية التي وقع فيها الناشران شارل بالي وزميله سيشهاي.

الكلمات المفتاحية :

دروس في اللسانيات العامة- اللسانيات العامة- سوسير- نشرة بالي- تلقي سوسير- الفيلولوجيا

Critical studies of «Course in General Linguistics «by F. de Saussure

Mostafa GHELFANE

Casablanca-Maroc

Abstract :

Course in General Linguistics by Saussure, edited by Charles Bally and Albert Sechehaye 1916 became the basis for the structural approach shedding light on Saussure's thought . This edition was a source of misunderstanding for many of the issues in the book such as issues of the subject of linguistics, language and speech, signifie and emained, emainedness, referent, shape and concept, synchronic and diachronic linguistics. Some critical studies pointed out that some sections of the book are confusing because of the poor wording. The book is problematic also of it's attribution to the author.

The 1916 edition emained the only document that explained the authers concepts despite number of critical observations .when Godel published a new edition in 1954 a new features was looming.

This work was developed by Rudolph Engler between 1968-1974- using philological studies that revealed misrepresentation of the content of the book some inconsistencies, termes and misunderstanding of the original concepts.

This article attempts to provide some plain examples adopted by the new editors of Course in General Linguistics and the mistake made by Bally and Sechehaye.

Key words :

Course in General Linguistics- Saussure-Charles Bally and Albert Sechehaye-
Saussure's thought

أعمال روبرت غودل (1902-1984) Robert Godel حين شرع سنة 1954 في نشر نصوص جديدة منسوبة إلى سوسير وإلى بعض طلبته وأبرزها، أمشاج نصوص قصيرة كتبها سوسير ما بين 1890-1894 (Godel, 1954) ومقدمة دروس سوسير العام الثاني 1908-1909 نقلاً عن دفاتر أحد طلبة سوسير (Saussure, 1957)

وتابع رودلف أنغلر (1930-2003) Rudolf Engler, 1967 (1974) ما بدأه أستاذه غودل في إطار مشروع يروم فحصاً فيلولوجياً شاملاً لنشرة بالي من خلال مقابلتها بالمصادر المخطوطة التي اعتمدها بالي وزميله سيشهاي في إصدار كتاب سوسير سنة 1916. وتتضمن طبعة أنغلر بين دفتيها معطيات نصية ذات قيمة تاريخية مرتبطة مباشرة بمحاضرات سوسير مرتبة كالتالي:

- أ - نشرة بالي وزميله، مجزأة إلى مقاطع Fragments مرقّمة من 1 إلى 3281.
- ب - ملحوظات الطلبة،
- ج - نصوص كتبها سوسير كملحوظات تحضيرية للدروس،
- د - نصوص أخرى في اللغة كتبها سوسير وتعود إلى ما قبل إلقاء الدروس.

وجاءت طبعة أنغلر في صفحتين متقابلتين مشطورة إلى ستة أعمدة، يُعيد أولها نصّ نشرة بالي وتعرض الأعمدة الثمانية والثالثة والرابعة فقرات المصادر المخطوطة التي اعتمدها الناشران، بينما يُقدّم العمودان الخامس والسادس فقرات نصية كانت مجهولة إبان صدور طبعة 1916.

وفي سياق ما أصبح يعرف بالعودة إلى سوسير في نهاية القرن العشرين؛ عرفت دروس سوسير

أقترن كتاب دروس في اللسانيات العامة le cours de linguistique générale باسم دو سوسير. وأصل الكتاب سلسلة من المحاضرات التي ألقاها سوسير بجامعة جنيف على عدد قليل من الطلبة خلال ثلاثة مواسم جامعية ما بين 1907 و1911. أي أنّ الدروس كانت تلقى مرة كل سنتين. وبعد وفاته سنة 1913، قام زميلاه بالجامعة ذاتها؛ شارل بالي Charles Bally وألبرت سيشهاي Albert Sechehaye بنشرها سنة 1916 بمساعدة ألبرت ريدلنجر Albert Riedlinger. ويقدر ما كانت نشرة بالي وزميله حاسمة في تلقي تصورات سوسير وشيوعها عالمياً، بقدر ما كانت مصدر سوء فهم وجدل في تلقي تصورات سوسير، ذلك أنّ تلقي دروس إيجابياً لم يكن ليحجب عن الدارسين الغموض وأحياناً التناقض اللذين طالاً جوانب أساسية وحاسمة من التصورات الواردة في الكتاب.

1 - المصادر الأصول

ظلت نشرة بالي وزميله إلى وقت قريب وتحديداً إلى منتصف القرن العشرين الوثيقة الوحيدة التي تحيل على لسانيات سوسير. ويبدو أنّ سلطة شارل بالي المعرفية وعلاقته الشخصية بسوسير ومكانته العلمية في الأوساط الجامعية الأوروبية وعلاقاته بكبار لسانيي الحقبة، تحكّمت إلى حد كبير في رسم مسار الكتاب المنسوب إلى سوسير قبل نشره وبعده. لقد استطاع بالي أن يُبعد الكتاب عن أي مقارنة نقدية تُروم تحقيق فقراته، وتبحث في تدقيق طبيعة علاقته بمصادر المخطوطة. ولم يقدّم بالي بأدنى جهد من أجل توضيح نشرة 1916 لدروس سوسير في اللسانيات، وينير ما غمض فيها، « فلم يُبدِ أيّ استعداد لنشر تلك المخطوطات. وهكذا منعاً فعلياً أيّ تقييم نقدي للنص المُحقّق » (هاريس، 2003/2016، ص.64).

لكن ملامح منعطف جديد في التعامل مع نشرة بالي أو على الصح تصورات سوسير، بدأت تلوح في الأفق مع

في بناء نسيج أقسام دروس وفصوله وفقراته جملة وأحياناً كلماته. وأتاح التتبع التوثيقي رصد مستويات التكتيف والاختصار أو الزيادة والحذف التي أجراها الناشران مقارنة بمصادرها الأصول.

ويتجسد تدخل بالي وزميله من خلال جملة من القضايا الفيلولوجية والمنهجية المتعلقة بإعداد الكتاب من أهمها:

- عدم تجانس المادة المعتمدة في نص دروس في اللسانيات العامة؛
- تغيير الترتيب الأصلي لموضوعات الدروس،
- تأويلات الناشرين الخاصة لتصورات سوسير. Louis- Jean Calvet, 1974, p. 17
- تعديل المنظومة المصطلحية.

- إهمال الناشرين لصيرورة تصورات سوسير خلال فترة إلقاء الدروس.

2 - عدم تجانس مادة دروس

لكي يستقيم التعبير عن تصورات سوسير، صحح الناشران المادة المقتبسة من النصوص الأصلية، وحسنا أسلوبها، وأعاد صياغتها، مضيفين-دون الإعلان عن ذلك -كلمات وجملاً وتعبيرات من صنعهما، كما حذف ما اعتبراه زائداً. ويمكن إجمال تدخل الناشرين في عدم تجانس المادة المعتمدة، وتغيير الترتيب الأصلي للموضوعات، وتعديل بعض المصطلحات، وإهمال حركية تكبير سوسير، فضلاً عن تأويلهما الخاص لتصوراته.

يقوم تكوين نص دروس في اللسانيات العامة الذي نشره بالي وزميله على أساس المصادر التي تضمنت مادة الملاحظات التي دونها طلبته أثناء فترة إلقاء المحاضرات (...)، ولاسيما دروس العام الثالث. أما

صدور نشرات جديدة أبرزها طبعة أيسوك كوماتسو Saussure 1993 et 1996) (Eisuck Komatsu الذي نشر محاضرات سوسير في اللسانيات العامة في ثلاثة مؤلفات مرتبة حسب التسلسل الزمني الذي أقيمت فيه وفق ما دون في دفاتر ثلاثة من أبرز طلبته وهم: ألبرت ريدلنجر Albert Reidlinger (مساعد بالي وسيشهاي في نشرتهما)، وشارل باتوا Charles Patois وإميل قسطنطين Emile Constantin. وأعاد دانيال كامبارارا Gambarara وميجيا كويخانو Quijano Mejia (نشر دروس العام الثالث وفق كراسات قسطنطين وإلى جانبها ملحوظات سوسير حول هذه الدروس) (Constantin, 2005).

وبفضل المقاربة الفيلولوجية التي اتبعها المحققون ولاسيما أنغلر تم:

- تحديد هوية مصادر فقرات نشرة بالي 1916، بتحديد أسماء أصحابها، وفتحها حسب دفاتر الطلبة، وفق تسلسلها الزمني ضمن المقررات الثلاثة، أي انتمائها إلى دروس العام الأول أو العام الثاني أم الثالث.

- الإشارة إلى التتابق اللفظي بين نشرة بالي والمصادر الأصول المخطوطة. والأمثلة كثيرة يتعرف عليها في الأعمدة بإشارة أنغلر إليها بالبنء الغليظ.

- بسط المقاطع التي كان يتعين على بالي وزميله الرجوع إليها لإخراج طبعة 1916.

- الإشارة إلى الفقرات الواردة في نشرة بالي التي لم يتمكن أنغلر من التعرف على مصادرها أو توثيقها.

ولم يشكك لا غودل (Godel, 1959) ولا (Engler, 1967) في موضوعية الناشرين وأمانتهما العلمية إزاء تعاليم سوسير، لكنهما في الوقت ذاته رسما خريطة مفصلة تحدد تدخل بالي وسيشهاي

الخرق السافر لثبوتية وصدقية العمل الفيلولوجي الذي قام به الناشران فيتجلى في إضافتهما مواد من خارج مقررات دروس سوسير في اللسانيات العامة. حين اقتبسنا فقرات من مخطوطة بعنوان: ملحوظات من أجل كتاب في اللسانيات العامة كتبها سوسير ما بين 1893 و1894، حين كان يفكر في إصدار مؤلف في اللسانيات العامة. والكلام في نص دروس في اللسانيات العامة عن الفونولوجيا والمقطع يرجع الجزء الكبير منه إلى مُدُونات بالي المخترلة sténogrammes للمُحاضرات التي ألقاها سوسير حول المقطع بالجامعة الصيفية بجنيف سنة 1897 (CLG/ De Mauro, p. 63). وتظهر مقاطع نشرة بالي وزميله عن الفونولوجيا في طبعة أنغلر (CLG/ Engler, 1. p. 107 et pp. 100-108). مُخفّفة جداً أو لا مقابل لها في ملحوظات الطلبة. (Engler, ص 125-126 و129 و135-137 و139-146).

غودل فاعتمد ما أصبح متاحاً في مكتبة جامعة جنيف العمومية من مصادر جديدة. فقد تلقت إدارة الجامعة من أسرة سوسير سنة 1955 رصيماً من المخطوطات الجديدة؛ وتسلّمت الجامعة أيضاً من السيدة بالي في السنة نفسها مخطوطات ووثائق تتعلق بدروس سوسير كانت في حوزة زوجها. (Godel, 1959, p. 10). غير أننا حين نقارن مصادر نشرة بالي بالمصادر المخطوطة التي أوردها غودل و(Engler 1967-1974، -)، تبدو طبعة 1916 مبتورة جداً، فهي لم تعتمد حتى المصادر التي أشار إليها الناشران ذاتهما، وإنما اكتفت بجزء يسير منها يتمثل في دفاتر ثلاثة طلبة هم: فرانسيس جوزيف Francis Joseph وهيلين Héléne de Bourdet دو بوردي (ستصبح السيدة سيشهاي فيما بعد (CLG/ De Mauro, p. note 12) ودفاتر جورج دو كالييه على وجه الخصوص (Gambarara, 2005, p. 30). أما

variations de l'un d'après les variations de l'autre; le fait seul qu'il y a deux éléments entraîne un rapport et une règle, ce qui est très différent d'une constatation.⁸⁹² Dans la recherche du principe phonologique, la science travaille donc à contresens en marquant sa production pour les sons isolés.⁸⁹³ Il suffit de deux phonèmes pour qu'on ne sache plus où on en est.⁸⁹⁴ Ainsi en vieux-haut-allemand *logf, help, wup, lang, dor, dorn* sont devenus plus tard *lopf, help, wupfen, lang, donnar, dorn*; ainsi, selon la nature et l'ordre de succession en groupe, le résultat est différent: tout d'abord une voyelle se développe entre deux consonnes, tantôt le groupe reste compact.⁸⁹⁵ Mais comment formuler la loi? ⁸⁹⁶ L'«*o*» provient de la différence? Sans doute des groupes de consonnes (*gl, fr, gn, etc.*) contenus dans ces mots.⁸⁹⁷ Il est bien clair qu'ils se composent d'une occlusive qui dans un des cas est précédée, et dans l'autre suivie d'une liquide ou d'une nasale; mais qu'en résulte-t-il? ⁸⁹⁸ Aussi longtemps que *g* et *n* sont supposés quantités homogènes, on ne comprend pas pourquoi le contact *gn* n'est pas précédé d'autres effets que *n-g*.

App. 11 § 1 al. 5 80 (78)

⁸⁹²⁻⁸⁹³ [ét.; > 713]

⁸⁹⁴ A côté de la phonologie des espèces, il y a donc place pour une science qui prend pour point de départ les groupes binaires et les conséquences de phonèmes, et c'est tout autre chose.

⁸⁹⁵ Dans l'étude des sons isolés, il suffit de constater la position des organes; la quantité acoustique du phonème ne fait pas question; elle est fixée par Focillon, quant à l'articulation, on a toute liberté de la produire à son gré.

⁸⁹⁶ Mais dès qu'il s'agit de prononcer deux sons combinés, la question est moins simple; on est obligé de tenir compte de la [R] discontinue possible entre l'effet cherché et l'effet produit; il n'est pas toujours en notre pouvoir de prononcer ce que nous avons voulu.⁸⁹⁷ La liberté de lier des espèces phonologiques est limitée par [79] la possibilité de lier les mouvements articulatoires.⁸⁹⁸ Pour rendre compte de ce qui se passe dans les

⁸⁹⁷ 2^e éd. des / espèces



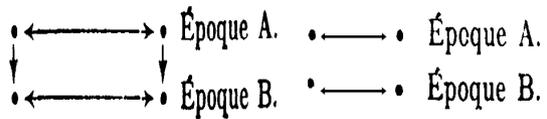
وسيشهائي أذا با مواد دروس الأعوام الثلاثة ضمن فصول جديدة بالرغم من عدم تجانسها واختلاف عرضها زمنياً، عامدين إلى تنظيمها وفق ترتيب يناسب رؤيتهما الخاصة دون اكتشاف بالدوافع التي وجهت سوسير في تسلسل موضوعاته، وجعلته يعمل على الربط بينها، ومن ثمة فإن «التسلسل الفاعل للأفكار الذي ربما كان واضحاً للتلاميذ الذين حضروا محاضرات سوسير (...) قد ضاع في خضم عملية إعادة الترتيب الكبرى التي فرضها المحققون (يقصد بالي وزميليه) لاحقاً على مدونات المحاضرات» (هاريس، 2016/2003، ص. 62). ويبدو أن الناشرين لم يحترموا أمرين اثنين:

أ - التسلسل الزمني للموضوعات

ب - السياق المعرفي الذي وردت فيه.

وإذا كان معروفاً أن الناشرين استندا في تكوين دروس في اللسانيات العامة إلى مادة دروس العام الثالث، فإنهما لم يحترما التصميم الإجمالي التي اتبعه سوسير فيها، حيث قسّم - حسب كراسات الطلبة - مقرر العام الثالث إلى جزأين مترابطين يتناول أولها تنوع الألسن، بينما يتناول الثاني مفهوم اللسان. أما الناشران فعكسا الترتيب واضعين مفهوم اللسان في المقدمة والفصول الأولى من دروس في اللسانيات العامة (CLG/ De Mauro, pp. 23-43)، بينما وضعوا كل ما يتعلق بتنوع الألسن في نهاية الكتاب (CLG/ De Mauro, p. 261). في فصل لا يثير انتباه القارئ بشأن مسائل عدّها الأستاذ مقدّمات أساسية لما سيتحدث عنه لاحقاً. ولم يكن إبعاد قضايا تنوع الألسن من بداية الكتاب رغم إلحاح سوسير - حسب ملحوظات الطلبة دائماً - على العلاقة القوية بين مفهوم اللسان وتنوع الألسن، سوى تأكدهما المقصود حصر موضوع اللسانيات في اللسان بالصيغة الشهيرة التي أثبتها في نهاية دروس «إن

وكشفت دراسات أخرى (Rousseau, 2006) إقحام الناشرين جزءاً من الدروس التي ألقاها سوسير حول اللسان القومي ما بين 1881 و1890 بباريس حين استقدم لتدريس اللغات الهندية الأوروبية القديمة بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا.. وإذا تحرينا الدقة، فإن الخطأ: (CLG/ De Mauro, pp. 120-121).



تعود إلى هذه الفترة أي ما بين 1881 و1890، ولا وجود لها ضمن ملحوظات الطلبة (CLG/ Engler, p. 187, 2).

ويشير دو مورو (CLG/ De Mauro, p. 449, Note 157) بدوره إلى أن فقرات محددة حول تحول العلامة (CLG/ De Mauro, p. 109) لا وجود لها ضمن دروس سوسير في اللسانيات العامة وإنما هي موجودة أصلاً في المقالة التي كتبها سوسير بمناسبة تأبين العالم الأميركي ويليام ويتني سنة 1894. يُمكن الاطلاع عليها الآن في (Saussure 2002, p. 209 et sv). كما أدمج الناشران مواد أخرى لا علاقة لها بدروس سوسير في اللسانيات مثل الدروس التي ألقاها سنة 1911 حول اشتقاق اللسانيين الإغريقي واللاتيني المدونة في دفاتر بروتش (CLG/ De Mauro, pp. 238-259). وتعد دروس الاشتقاق آخر دروس ألقاها سوسير قبل أن يتوفّى عن التدريس بسبب مرضه.

3 - تغيير ترتيب الموضوعات:

يتضح من دفاتر الطلبة التي نشرها كوماتسو (Saussure, 1993et 1996) أن الناشرين بالي

في رسم معالم لسانيات سوسير فقط، وإنما اللسانيات الحديثة برمتها بتوجيه مسارها النظري والمنهجي. وقدّم غودل (129-Godel, 1957. pp. 115) عينة من الفقرات المضافة ومنها:

نص الفقرة المضافة	موضوع الفقرة	دروس
من: « كأن نبدأ على سبيل المثال بدراسة لغة الأطفال إلى: الحلقة المفرغة ».	لغة الأطفال	صفحة: ف 24 / ع 28
من: « إننا إنما نتعلم لغتنا من الأم » إلى: « يحصى من التجارب ».	تعلم اللغة الأم	ف 38 / ع 41
(مضمون هذه الصفحة مضاف إلا الجملة الأخيرة وخطاطتان من بين الخطاطات الثلاث، مع تغيير رسمهما.	العلامة	ف 99 / ع 111

ولمّا كان عدد الإضافات في الفصل المتعلق باعتبارية العلامة وبخطّيتها Linéarité مرتفعاً، فإن غودل وضع لها ملحقاً قابل فيه فقرات دروس بما ورد في دفاتر الطلبة (129-Godel, 1957 pp. 122).
- ف 150-151 / ع 167-168 التعليق على المثال المعروف «سيداتي» بأكمله من وضع الناشرين.

ومن السهل على قارئ طبعة أنغلر الوقوف على هذه الإضافات حسب ما تتضمنه الأعمدة المقابلة لنص دروس من فراغات قد تكبر أو تصغر. (لمزيد من الأمثلة انظر: غلفان 2016أ)

لكن أهم إضافة تتمثل في العبارة الشهيرة التي ختم بها الناشران دروس: « إن موضوع اللسانيات الوحيد والحقيقي هو اللسان في ذاته ولذاته (CLG/ De Mauro, p. 317) »، وهي

موضوع اللسانيات الوحيد والحقيقي هو اللسان في ذاته ومن أجل ذاته (CLG/ De Mauro, p. 317) .

أما المثال الثاني على الاختلال الناجم عن تغيير ترتيب موضوعات الدروس فيتعلق بمفهوم القيمة Valeur. فقد تحدث عنه سوسير في دروس العام الثاني أثناء حديثه عن اللسان كنسق من القيم، ثم تناوله مجدداً في دروس العام الثالث مبيّناً أهميته في الكشف عن الطبيعة النوعية للأنساق السيميولوجية وفي مقدمتها اللسان البشري (Saussure 1996).
فمفهوم القيمة كأساس للتنظيم الخلافي بين الوحدات، أو ما أسماه مطابقة الوحدات Identité des unités يقود إلى اعتبارية العلامة، لأن مفهوم القيمة نتيجة تمييز اللسان عن الكلام باعتبار القيمة من اللسان وليس الكلام. أما في نشرة بالي فالأمر مختلف، فقد جاء الكلام عن ثنائية لسان/ كلام (الصفحة 38)، قبل الحديث عن مطابقة الوحدات اللغوية (ص 249)، بينما ورد في ص 150 كل ما يتعلق بمفهوم القيمة. ولاتباع الترتيب الأصلي، يتعيّن البدء في نشرة بالي بالباب الثامن من القسم الثالث وعنوانه: الوحدات والمطابقات والحقائق التعاقبية، ثم العودة إلى الباب الثالث والرابع من القسم الثاني: المطابقات والحقائق والقيم والقيمة اللغوية، ومنه إلى الباب الأول من القسم الأول، وعنوانه طبيعة العلامة اللغوية، وصولاً إلى الباب الثالث من المقدمة (موضوع اللسانيات) (Calvet 1974, p. 20).

4 - إضافات الناشرين.

لم يكتف الناشران بتغيير ترتيب الموضوعات وتسلسلها؛ بل إنهما أضافا العديد من الفقرات والجملة والكلمات. وتكمن خطورة هذه الإضافات في أنها توجه تأويل تصورات الأستاذ في اتجاه قد لا يكون بالضرورة ما قصده صاحبها، إذ كان بعض إضافاتهما حاسماً لا

الرجل كان واعياً بوجود لسانيات الكلام إلى جانب لسانيات اللسان. وبعد أن دوّن النقط التي كان عليه أن يتحدث عنها في موضوع الازدواجية ومن بينها تمييز اللسان عن الكلام، ختم ملحوظاته قائلاً: هنا للمرة الأولى مسألة لسانيتين» (يقصد لسانيات اللسان ولسانيات الكلام Ici pour la première fois question de deux linguistiques). (Saussure, 1908, p. 299. (Notes pour le cours II 1908-1909).. وتكشف المصادر الأصول، سعي الناشرين إلى إبعاد كل ما يتعلق بالنشاط اللغوي عند الفرد المتكلم من دائرة اهتمام اللسانيات. جاء في دروس «إن نشاط الفرد المتكلم يجب أن يُدرس ضمن مجموعة من المجالات التي ليست لها أي مكانة في اللسانيات إلا في نطاق ما له علاقة باللسان» (CLG/ De Mauro, p. 37) ولا تتضمن ملحوظات الطلبة عبارة «نشاط الفرد المتكلم»، ممّا يبين أنّ استحضارها من قبل الناشرين كان للفت الانتباه إلى إبعاد سوسير كل ما يمس دور الفرد المتكلم من حقل اللسانيات. فقد كتب قسطنطين: «ويبقى مع ذلك أن نهتم (بدراسة) الفرد، إذ من البديهي أن مشاركة جميع الأفراد هي بالفعل التي تخلق الظواهر العامة، ومن ثمة يتعيّن أن نلقي نظرة على اشتغال اللغة عند الفرد المتكلم. ولا يندرج تنفيذ الفرد للنتاج الاجتماعي في الموضوع الذي سبق أن حددناه. وسيكون علينا في هذا الفصل الثالث أن نبين الخبايا le dessous والإوالية الفردية mécanique individuel التي سيكون لها في النهاية بطريقة أو بأخرى آثار على النتاج العام، ولكن لا يجب خلطها في دراسة النتاج في حد ذاته» (CLG/ Engler, 1, p. 66. IIC III).

ويتضح من المصادر الأصول أن سوسير كان بعيداً عن النظرة الإقصائية للكلام التي ألصقتها به الناشران. فقد كتب في إحدى قصاصاته: «إن اللسانيات واسعة وبالأخص تضم قسمين: قسم أقرب إلى اللسان المستودع السلبي والقسم الآخر أقرب إلى الكلام القوة الحية والمصدر الحقيقي للظواهر التي سنلاحظها لاحقاً تقريباً في القسم الآخر من اللغة». (Saussure, 2002, p. 273) ويلح سوسير في إحدى المخطوطات المنشورة مؤخراً على أهمية الكلام في النشاط اللغوي عند الفرد المتكلم «لم يُخلق اللسان إلا من

العبارة التي يُمكن الجزم بأنها من وضعهما (Godel, 1959, p. 181)، إذ ليس في المصادر الأصول لدروس في اللسانيات أو في غيرها ما يسمح بالقول بأن الأستاذ عبّر عن هذه الصيغة أو بأخرى (Rastier, 2009, p. 5). ويؤكد بوكيه أنّ الجملة كانت رائجة لا عند فرانس بوب فقط، وإنما، سنة 1883 عند مؤلفين معاصرين لسوسير في الصيغة قريبة جداً: «إن اللسانيات تدرس الألسن في ذاتها ولذا تها» (Bouquet, 1997, p. 266⁽¹⁾).

وتوخّى الناشران من الجملة السابقة خاتمة توجيه قارئ دروس نحو ترسيخ تصور مُفاده أنّ سوسير اهتم باللسان المجرد وأهمل دراسة مظاهر النشاط اللغوي الفعلي المتمثل في الكلام. ولا شك أنّ الفكرة الإجمالية للجملة المنحولة لها ما يدعّمها عند سوسير: إذ يتردّد صداها في ملحوظات الطلبة. فقد كتب الطالب قسطنطين: «يمكننا أن نقول بأننا باختيار اللسان كمرکز ونقطة انطلاق» (CLG/ Engler, 1, p. 52). وكتب الطالب جوزيف: «حين نعتبر اللسان شيئاً أولاً، فنحن ننطلق منه كأفضل أرضية forme Plate للوصول إلى عناصر اللغة الأخرى» (CLG/Engler, 1, p. 52). لكن السياق الذي وضعت فيه الجملة جعل لسانيات سوسير تأخذ اتجاهاً آخر لم يخطر بذهن من نسبت إليه، إذ كان صاحب الدروس يفكر من خلال إلحاحه على أهمية مفهوم اللسان في إعداد الأسس النظرية التي تجعل اللسانيات علماً باللسان مجالاً له استقلالته (Calvet, 1974, p. 23). وقد أشار أماكر (1975, p. 23) إلى أنه لا ينبغي تأويل العبارة السابقة على أنها حصرية، وأن لا يؤخذ الموضوع المقصود منها- أي اللسان- على أنه «الشيء» الوحيد ضمن أشياء أخرى من الظاهرة اللغوية التي يتعيّن أن تدرّسها اللسانيات؛ بل يجب أن تؤخذ العبارة كمبدأ منظم وموحد للكثرة المتناثرة من المعطيات التي تتشكّل منها مادة اللسانيات. ويتبين من ملحوظة دونها سوسير نفسه وهو يهيئ دروس العام الثاني أن

(1) ويتعلق الأمر بالمؤلف الجماعي Dictionnaire des sciences anthropologiques. Paris. Douin. 1883 من المؤلفين من بينهم: Bertillion. Courdereau. Hovelacque et alii. وجاء ذكر هوفالك في المحاضرة الأولى بجامعة جنيف سنة 1891، باعتباره أحد أتباع التصور الطبيعي في دراسة اللغة. (Saussure. 2002. p. 154).

إنه مفهوم الكلام الذي أسيء فهمه من قبل الناشرين «(أريفيه، 2009، ص. 74 هامش رقم 20). ويبدو أن الناشرين لم يُميزا جيداً في دروس سوسير بين دالتين مختلفتين للكلام: الكلام بمعنى فعل التصويت والكلام كممارسة للملكة اللغوية وذلك عندما يقابل اللسان اللغة حيث يصبح فعل التصويت جزءاً مكوناً من اللسان. وقد أبعَد الناشران مفهوم الكلام كملكة لغوية حيث أبعده سوسير باعتباره مجرد فعل إصدار الأصوات. (أريفيه، 2009، ص. 160-161).

5 - الحذف: دلالاته وأبعاده

نلاحظ في الصورة التالية من أنغلر Engler, p. (78) فقرة نشرة بالي (العمود الأول يساراً) مقابل ملحوظات الطلبة في باقي الأعمدة، مما يجسد بالملوس ما حذفه الناشران من كلام سوسير.

أجل الخطاب. فما الذي يفصل الخطاب عن اللسان، أو ما الذي يسمح لنا أن نقول في لحظة معينة إن اللسان يدخل حيز الفعل بوصفه خطاباً؟» (Saussure, 2002, p. 277).

ويُمكن اعتبار حصر موضوع اللسانيات السوسيرية في اللسان بمثابة فرصة سانحة للناشرين لتأكيد أهمية لسانيات الكلام التي كانا يدافعان عنها، كل بطريقة الخاصة، سواء في إطار نظرية القول Enonciation عند بالي أو في إطار لسانيات الكلام المنظمه Linguistique de la parole organisée عند سيشهاي (غلفان 2014). وحرص الناشران في أعمالهما العلمية الخاصة بهما على صياغة مغايرة لموضوع اللسانيات لا تقف عند حدود ما عبّر عنه في نص دروس بشأن مفهوم اللسان المثالي والمجرد عند سوسير كموضوع وحيد لللسانيات.

هكذا إذن يصبح نص دروس في اللسانيات العامة مصدر انزلاق حاسم حدّد مصير اللسانيات الحديثة مدة غير قصيرة. لكن ما مرد هذا اللبس؟ يجب أريفيه»

The image shows a page from a book with a diagram and several columns of text. The diagram is a speech bubble with a tail pointing to the left, containing the text "Il n'y a pas de parole sans le langage". To the right of the diagram are several columns of text, each with a heading like "Il n'y a pas de parole sans le langage" and a corresponding note. The notes discuss the relationship between language and speech, and the role of the speaker and the listener.

160) فإنهما أضفيا الشرعية على الدلالة الإحالية
Sémantique référentielle القائمة على التعيين
Désignation؛ وليس القيمة، بينما نعرف أن سوسير
يرفض صراحة التصور الإحالي» (Rastier, 2015, p. 27)،
بينما تكشف دفاتر الطلبة أن سوسير « لم
يقبل أشياء كثيرة يقوله إياه النص المنشور في عام
1916. إن ما قاله سوسير ببساطة أن كلمتي mouton
الفرنسية و sheep الإنجليزية لا يمكن أن تكون لهما
القيمة نفسها، وأن التوكيد غير الموسَّغ - مع ذلك - أن
لهاتين الكلمتين دلالة واحدة هو من وضع المحققين
» (هاريس، 2016/2003، ص. 78). والاكتفاء في
نشرة بالي بفقرتين في موضوع القيمة يوحي بتأويل
سوسير لهذا المفهوم كبديل لنظرية المواضعة كما
كانت تتصور في القرن التاسع عشر، لأن العلة الوحيدة
لوجود القيمة هي الاستعمال والموافقة العامة، غير أننا
لا نجد في ملحوظات الطلبة كلمتي استعمال usage
وموافقة consentement اللتين تدعمان هذه الوجهة
في التأويل. ولا تجعلنا المصادر الأصول نبتعد عن فهم
مبدأ القيمة بربطه بالمواضعة convention وحسب،
بل إنها تعكس في الوقت ذاته فهم الناشرين المغلوط
لمفهوم القيمة عند سوسير. (Meijia Quijano, 2005)

ومن التعديلات التي قادت إلى موقف مغاير لموقف
سوسير التغيير الذي أدخله الناشران على رسم مدارة
الكلام circuit de la parole الوارد في طبعة 1916.
F. de Saussure, CLG./De Mauro, p. 27
(دروس في الألسنية العامة، ص، 31)



لكن أبرز ما حذفه الناشران مقدمةً دروس العام
الثاني التي تتضمن الخطوط العامة لمشروع سوسير
حول السيميولوجيا. والمقدمة، تدلُّ على مزيد من
الجرأة النظرية وتفاجئ القارئ بالطريقة الشجاعة
والسرعة وشبه المثيرة التي عولجت بها المسائل
الأساسية. كما أنها تُمثل أيضاً أول تقديم مُتماسك
للسانيات السوسيرية يُلخِّص جوهر فكره في معالجة
اللغة من منظور السيميولوجيا 1959، « (p. 35)
Godel)، وأبرز سوسير في المقدمة أهمية اللسان
البشري ومكانته المتميزة ضمن الأنساق السيميولوجية،
مُحاولاً الإجابة عن بعض الإشكالات الجوهرية: لماذا
يجب النظر إلى اللسان من زاوية السمات المشتركة مع
أنساق سيميولوجية أخرى؟ لماذا يعتبر اللسان منوالاً
Patron للسيميولوجيا؟ لماذا يظل اللسان من منظور
السيميولوجيا موضوعاً فريداً؟ (Bouquet, 1997, p. 191).

فما هويّا ترى سبب هذا الحذف: هل هو وعي
الناشرين بأن المقدمة تختلف جذرياً عن تصورات
سوسير في دروس الأعوام الأخرى؟ أم إن ثمة تناقضاً
بين الدروس، وما تتضمنه المقدمة؟

يبدو أن الناشرين لم يدركا طبيعة الفجوة الحاصلة
بين ما عرضه سوسير في محاضرات أخرى وما جاء
في المقدمة التي تشكل جوهر تصورات، وعنهما انبثقت
مفاهيم أخرى مثل؛ اعتبارية العلامة والخطية والقيمة
والآنية واجتماعية اللسان، أي كل ما يجعل اللسان نظام
تواصل اجتماعي بامتياز.

6 - تعديلات أخرى

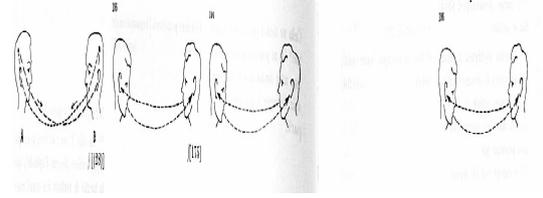
ومن الأمثلة التي تؤشر على تدخل الناشرين
في تكوين دروس قولهما: «لئن كان للكلمة الفرنسية
mouton الدلالة نفسها التي للكلمة الإنجليزية sheep
فإنه ليس لهما نفس القيمة» (CLG/ De Mauro, p.)

ولنموذج التواصل المُقدّم في دروس مصدر موثق ضمن مخطوطات الدروس.
F. de Saussure, CLG./ Engler,1, p. 37.
D174169. S.2.5195. IIC266.

ولنموذج التواصل المُقدّم في دروس مصدر موثق ضمن مخطوطات الدروس.

F. de Saussure, CLG./ Engler,1, p. 37.
D174169. S.2.5195. IIC266.

، لكن النَّاشِرِينَ عدّلاه، إذ لا تُظهِر رسوم الطلبة في كراساتهم أي رابط بين الأذن والدماع..

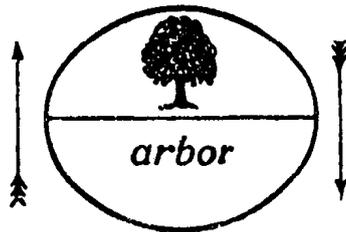


ويظهر الفرد في رسم سوسير في حالة سماع Audition أي أنه فرد سامع Auditeur وليس فرداً متكلماً Locuteur وهي طريقة أخرى يقول من خلالها سوسير أن السهم الرابط بين الدال والمدلول لا يمكنه أن ينطلق إلا من الدال نحو المدلول أي أن ثمة طريقة واحدة وليس طريقتان كما يعبر عن ذلك رسم بالي وسيشهاي ذي السهمين في الاتجاهين كما سنرى لاحقاً. (Gabriel Bergounioux, 1993, pp. 361-377). والاختيار القائم على أن يسبق المدلول الدال ليس موقف سوسير، وإنما هو تأويل من الناشرين وتعبير عن تصورهما الخاص الذي يؤكد أسبقية المفاهيم وأولويتها ضمن حقائق اللسان. (Ibidem. p. 377) ويُجسّد الرسم الذي وضعه الناشران دعوة صريحة إلى الانغماس في نظرية نفسانية تبالغ في تقدير دور الفكر وأهميته، فكّر قائم بذاته ومستقل عن أي شيء آخر، وهو أيضاً فكّر جاهز وموجود في دماغ الفرد المتكلم، ينتظر من يمهده بالأصوات للتعبير عن نفسه

F. de Saussure, CLG./De Mauro, p. 28, (دروس في الألسنية العامة، ص، 32)..

لكن المهم بالنسبة إلى الرسم السابق؛ أن الفقرة التي تلتها وتُمثّل ثلثي الصفحة 28 François

ومن مظاهر الإرباك الذي أدخلته صياغة الناشرين ما نقرأه في دروس: «ويؤيد ذلك ما يوجد في الألسن من فوارق في تسمية الأشياء بل واختلاف الألسن نفسه. فالمدلول «بقرة» دالُّه بقرة (الباء والفتحة والقاف الخ) في العربية و«boeuf» (بوف) في الفرنسية و«Ochs» (أوكس) في الألمانية». F. de Saussure, CLG/ De Mauro, p. 100 ويفهم من هذا الكلام أن هناك مدلولاً واحداً هو «boeuf» يتحقق بطرق متنوعة حسب الألسن؛ بينما الأمر بالنسبة إلى سوسير أن هناك مدلولين: مدلول «ثور» boeuf ومدلول «Ochs» 1993. Gabriel Bergounioux. ولم يكن لجوء الناشرين إلى عبارة «يستدعي وجود أحدهما وجود الآخر» F. de Saussure, CLG/De Mauro, p. 99 (دروس في الألسنية العامة، ص 111) لا لازماً ولا ضرورياً، لأنها تفترض أن الدال والمدلول لهما وجود قبلي ومستقل؛ أي أنه يمكن أن ينظر إلى الدال كصعيد Plan مستقل عن المدلول والعكس؛ وأن الاعتباطية تطال كل صعيد منهما على حدة. والمعالم أن ما هو اعتباطي عند سوسير هو الرابط القائم بين صعيدي الدال والمدلول. واستعان الناشران برسم توضيحي للاتحاد بين الدال والمدلول:

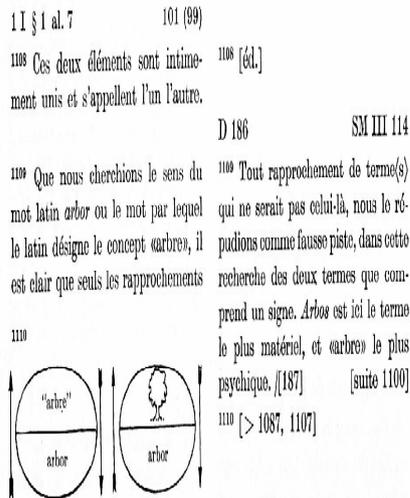
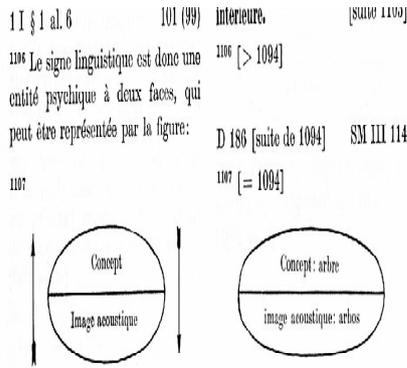


(خطاطة 3)

يبرره. وبذلك تعود خطاطة الناشرين لتسقط في تصور
اللسان كتبت من الألفاظ الذي رفضه سوسير في دروس
صفحتين قبل ذلك René Amacker, 1974 p. 86
(. ويتضح بالعودة إلى المصادر الأصول أن الخطاطة 3
مرفقة بسهمين يربطان بين الدال والمدلول ويسيران في
الاتجاهين F. de Saussure, CLG/Engler, 2, p.
150. D 186. CLG/De Mauro, p. 99 (دروس
في الألسنية العامة ، ص 110) ليس لها ما يقابلها في
كراسات الطلبة 2, Engler, CLG/De Saussure, p.150. D1861107

F.de Saussure, CLG/De Mauro, p.
99. (دروس في الألسنية العامة ص، 111

يُمثل في الجزء الأعلى من الرسم للمدلول *signifié*
وفي الأسفل للدال *Signifiant* بينما يُحدد الشكلُ
الدائري العلامة. أما السهمان فيشيران إلى أن وجهي
العلامة أي الدال والمدلول غير قابلين للانفصال
indissolubles. والتعبير عن الدال برسم الشيء الذي
يحيل عليه أي «الشجرة» في الخطاطة 3، إقحام من
الناشرين للشيء الموجود في العالم الخارجي ليس له ما



1110a nous paraissent conformes à la réalité, et nous écartons n'importe quel autre qu'on pourrait imaginer.

1110a [> 1109]

J 156 [suite de 1094]

1109 Ainsi tout rapprochement de termes qui ne serait pas celui-là, nous le répudions comme une fausse piste. [suite 1100]

III C 279 [suite de 1094]

1109 Ici le terme le plus matériel serait *arbor* (et *arbre* le terme le plus psychique. Tout rapprochement de termes qui ne serait pas celui-là, nous le répudions comme fausse piste dans cette recherche des deux termes que comprend un signe.) [suite 1100]

F. de Saussure, CLG/Engler, 2. p. 258.
D270. S.2.40. IIC392

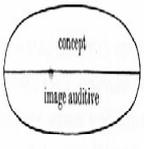
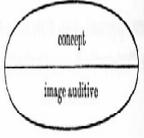
وفي مواضع أخرى من دفاتر الطلبة نجد أن الخطاطة مصحوبة بسهم واحد فقط ينطلق من الدال إلى المدلول كما هو مبين في الصفحة التالية من طبعة أنغلر.

2 IV § 2 al. 3 165 (158) D 270 SM III 149 S 2.40 (suite de 1853)

¹⁸⁵⁸ Prenons d'abord la signification telle qu'on se la représente et telle que nous l'avons figurée p. 101. ¹⁸⁵⁹ Elle n'est, comme l'indiquent les flèches de la figure, que la contre-partie de l'image auditive. ¹⁸⁶⁰ Tout se passe / entre l'image auditive et le concept, dans les limites du mot considéré comme un domaine fermé, existant pour lui-même.

¹⁸⁵⁸ Prenons d'abord la signification comme nous nous la représentons et l'avons nous-mêmes marquée:

¹⁸⁵⁸ Le sens dépend et pourtant reste distinct de la valeur. La signification telle qu'on se la représente et comme nous l'avons marquée par le schéma:

¹⁸⁵⁹ La flèche marque signification comme contrepartie de image auditive. Dans cette vue, signification est contrepartie de l'image auditive, et rien d'autre.

¹⁸⁶⁰ Mot est pris comme un ensemble isolé et absolu. Intérieurement, il contient l'image auditive, ayant pour contrepartie un concept.

¹⁸⁵⁹ La signification est la contrepartie de l'image auditive.

¹⁸⁶⁰ Dans cette vue, le mot est pris comme un ensemble isolé et absolu. Intérieurement, il contient l'image auditive et a pour contrepartie le concept.

III C 392

¹⁸⁵⁸ Prenons d'abord la signification comme nous la représentons (et l'avons nous-mêmes marquée):

¹⁸⁵⁹ (La flèche marque signification comme contrepartie de l'image auditive). Dans cette vue, la signification est la contrepartie de l'image auditive et rien d'autre.

¹⁸⁶⁰ Le mot apparaît ou est pris comme un ensemble isolé et absolu; intérieurement, il contient l'image auditive ayant pour contrepartie un concept.

شديداً ويستدعي وجود أحدهما وجود الآخر) التي تترجم دلالة السهمين المرافقين للخطاطة.

F. de Saussure, CLG/ De Mauro, p. 99 (دروس في الألسنية العامة، ص، 111)

F. de Saussure, CLG/De Mauro, p. 441, note n° 132

د- استعمال لفظ (mot/كلمة) للإشارة إلى arbor

ويترتب على إضافات الناشرين السابقة أن نص دروس يوحى بأن سوسير يذهب إلى أن الدال هو الجزء الصوتي وأن المدلول هو صورة الشيء وأن وجود أحدهما يستدعي وجود الآخر؛ وهو ما يقول به أيضاً أولئك الذين

F. de Saussure, C/LG/De Mauro, p. 441, note n° 132. أن هذه الفقرة تجسد مثلاً صارخاً لما آل إليه تدخل الناشرين في صياغة دروس في اللسانيات العامة من سوء فهم وتحريف أبرز وأشهر مفهوم في لسانيات سوسير ألا وهو مفهوم العلامة اللغوية. وموازنة بما هو وارد في ملحوظات الطلبة في دفاترهم أضاف الناشران الأشياء التالية:

أ - الخطاطة رقم 3 التي تتضمن رسم الشجرة؛

ب - إضافة سهمين ذي اتجاهين إلى خطاطات دروس،

ج - إضافة عبارة ces deux éléments sont intimement unis et s'appellent l'un l'autre أي («وهذان العنصران ملتصقان ملتصقان»

للدلالة على جزء معين فقط، ولن يكون في مأمن من أن يدل على هذا الجزء وحده (CLG/ Engler, 2, p.). (151, D211. IIC310).

لكن نشرة بالي تخلو من أية إشارات إلى معاناة سوسير الاصطلاحية وقلقه إزاءها. وفي هذا السياق نشير إلى الخلط والاضطراب اللذين صاحبا استخدام الناشرين لمصطلحات علامة ودال ومدلول، إذ لم يقف بهما الأمر عند استعمالهما مصطلحات علامة ودال ومدلول في الفصل الأول المتعلق بطبيعة العلامة اللغوية ومدلول (CLG/ De Mauro, p. 99). وإنما عمماً ذلك على نص دروس برمته دون مراعاة سواء لتحفظ سوسير وحرصه في اختيار المصطلح المناسب أو للسياق الزمني والمعرفي الذي جاءت فيه ثنائية دال / مدلول في المصادر الأصول. فالزوج المصطلحي الشهير signifiant / دال وsignifié / مدلول لم يقترحه سوسير إلا في نهاية دروس العام الثالث (حصة 19 مايو 1911) بعد أن أشار في (حصة 2 مايو 1911) إلى الصعوبات الاصطلاحية التي تفرض نفسها على المشتغل باللسانيات معترفاً أنه لم يتوصل إلى مصطلحات ملائمة للتعبير عن مفهوم العلامة ومكوناتها: « إن القضية التي لم نتمكن من حلها والحسم فيها تتمثل في الاتفاق على النقطة التالية: هل نسمي الكل علامة؛ أي التوليف بين المفهوم والصورة السمعية، أم إن الصورة السمعية نفسها يمكن تسميتها أيضاً بعلامة. يجب أن نتوَّفَّر على كلمتين مُخْتَلِفَتَيْن» (TCLG/Komatsu, p. 75) وبصفة عامة «لم تجد أي من هذه الابتكارات من المصطلحات التجريبية طريقها إلى نشرة بالي» (هاريس، 2016/2003، ص. 316).

ويعيب غودل (1959, p.) وأماكر (1975, p. 157) على الناشرين إهمالهما البعد الاصطلاحي لبعض الألفاظ ككلمة حد terme التي استعمالها

يرون أن اللسان ثبت من الألفاظ التي تقابل أشياء أو تصورات. فهذه الإضافات تجعل القارئ ينزلق إلى تصور نقيض تماماً لتصور سوسير. F. de Saussure, CLG/De Mauro, p. 441, note n° 132

ويذهب دارسون آخرون. André Pettrof, p. 59 إلى القول بأن صياغة الناشرين لمفهوم الاعتبارية تتضمن غموضاً ملحوظاً يحمل بين ثناياه نوعاً من التناقض.

7 - تعديل المصطلحات

جاءت مصطلحات دروس في صورة نهائية، بينما يتضح من المصادر الأصول أن الأستاذ كان حذراً ومتردداً؛ في حسم بعض الصعوبات الاصطلاحية التي واجهته نهائياً. لقد كان سوسير قبل إلقاء الدروس واعياً بالتباس لفظ علامة Signe في الفرنسية الذي يدل إما على الصوت والدلالة Signification معاً، (أي الوحدة اللغوية بكاملها)، وإما على الجانب الصوتي فقط، وهي بهذا المعنى أقرب إلى الإشارة الصوتية أو الدال (Saussure 2002, p. 21). ولتجاوز هذه الصعوبات، اقترح سوسير مصطلح (Sème = سمة) بدلاً من كلمة (Signe). (Saussure, 2002, p. 105). كما استعمل سوسير في السياق ذاته مصطلحات مثل: Sôme أو Aposôme للدلالة على ما تعبر عنه الصورة السمعية وContre sôme و anti sôme أو parasôme عوضاً عن التصور، (p. 114 et suivantes) (Saussure, 2002)

ولازمه هذا التردد الاصطلاحي إلى نهاية دروس العام الثالث حيث نجده يقر بأنه حتى باستعمال مصطلح العلامة لن نحصل على اللفظ الذي نحتاج إليه للدلالة على المجموع، أي الدال والمدلول دلالة لا لبس فيها. وأياً كان اللفظ الذي سيتم اختياره سواء كان علامة Signe أو حد Terme أو كلمة Mot، سينزلق دون شك

من مبدأ تصويري يبرز لأول مرة في الدراسات اللغوية أهمية المنظور السيميولوجي الذي يجب أن تُعالج في ضوءه أنساق العلامات ومنها اللسان كمؤسسة إنسانية وتاريخية واجتماعية وثقافية. وعمل سوسير في دروس العام الثالث على تبيان المنظور النسقي والقيمي للسان كنسق من القيم له قوانين اشتغال خاصة به ونظام انتقال وتطور يساير طبيعته (, Gambarara, 2005, p. 32). وفي هذا السياق ندرك مثلاً التغيير الذي طال تعريف اللسانيات، إذ اتبع سوسير طريقتين مختلفتين واصفاً الأولى بالخارجية والثانية بالداخلية، فحدد في دروس العام الأول اللسانيات بالسلب مستخلصاً مظاهر التعارض بينها وبين علوم أخرى كالنحو والفيلولوجيا والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع. وكان الهدف من التعريف الخارجي إبراز ما ليس لسانيات والتركيز على موضوع المعارف التي تشترك معها (CLG/Engler, 1, p. 19. IR.11. cf aussi PCLG/Komatsu, p. 1). أما في دروس العام الثاني فاعتبر أن الطريقة الخارجية أو التحليلية غير مجدية لأنها لم توصل يوماً إلى شيء مفيد، مقترحاً الانطلاق من طبيعة اللسان الداخلية كسمة نوعية مميزة لتحديد اللسانيات، ذلك أن السعي إلى دراسة الألسن واللسان واللغة من جميع الجوانب وفي جميع الاتجاهات يقود إلى نتيجة عكسية تماماً قد تكون القضاء النهائي على اللسانيات نفسها. فالعلوم المجاورة يمكنها أن تدعي أحقيتها في دراسة هذا الجزء أو ذلك من اللسانيات. وإذا حصل هذا الأمر، فإن اللسانيات ستصبح دون موضوع (CLG/ Engler, 1, p. 30). ولإعطاء اللسانيات المكانة اللائقة بها، يجب النظر إلى اللسان في جانبه المركزي المتمثل في أنه نسق من العلامات المعبرة عن أفكار أو على الأصح «نسق من القيم وهو ما يجعل اللسانيات تدرج في إطار السيميولوجيا كعلم يدرس العلامات (DCLG/ Komatsu, p. 7). وأياً

سوسير استعمالاً دقيقاً فأسند لها في سياقات عدة دلالة متميزة خاصة حين ترد إلى جانب لفظ القيمة valeur. والحد بالمعنى المنطقي هو أحد عناصر القضية proposition. ويكون رابطاً بين القيمة والنسق système. فالحد والنسق والقيمة مكونات مترابطة بينها، وبتعبير سوسير «حيث توجد قيم تكون ثمة حدود a des termes, il y a des valeurs (CLG/ Engler, 2, p. 257, p. 257, S2.40.1853.IIIC391.1853.D269.1853). وجاء في دفاتر أحد الطلبة: «يجب (...) أن نعد الكلمات حدوداً نسق. وإذا قلنا حدوداً بدلاً من الكلمات، فلأننا نتصور علاقاته مع حدود أخرى، أي فكرة الترابط بحدود أخرى (CLG/ Engler, 2, p. 251).» لكن الناشرين لم يعملا على إبراز القيمة الاصطلاحية للفظ «حد» بالرغم من أهميته ودوره في لسانيات سوسير (Depecker, 2010, p. 69)

8 - التحولات الغائبة

عرفت تأملات سوسير خلال فترة إلقاء الدروس التي امتدت خمس سنوات تغييرات هامة سواء في تصور القضايا أو في طريقة تقديمها أو الاستدلال عليها. ولم يكن سوسير يمتلك أجوبة جاهزة أو حلولاً نهائية يواجه بها عمق المعضلات اللغوية على العكس مما يوحي به نص دروس، سوى ما كان من صياغات متنوعة لتساؤلات لا تتوقف تظل في الغالب بلا أجوبة محددة. وكانت دروسه تختلف من عام إلى آخر مما يجسد باللموس حركية تفكير متحول باستمرار. لقد قدم سوسير في العام الأول قضايا كانت متداولة في عصره كتطور الأصوات والصيغ والقياس، لكنه تناولها من زاوية نقدية ليكشف عن حدود المقاربة التاريخية وقصورها النظري نتيجة لغياب البعد التعميمي الذي يجب أن يقود إلى تأسيس لسانيات عامة. أما دروس العام الثاني فتنتقل

وحيث ننتقل من الكل، أي من نسق القيم لنستخلص مُختلف القيم» يمكننا أن نجد الكلمات بوصفها سلسلة من الحدود. (TCLG/Komatsu, p. 134)

وبهذا يكون سوسير قد غير وجهة نظره ومنظوره العام ليعود مُجدداً إلى التّصور الذي سبق أن أعلن عنه في دروس العام الثاني والقائم على مبدأ «تعقيد اللسان (القيم) ليصل إلى مفهوم العلامة ككيان مُعقّد. فالنسق يقود إلى اللفظ الذي يقود بدوره إلى القيمة. وتكتسي هذه الرّؤية الجديدة للسان أهمية نظرية بالغة الأهمية نظراً لما تحمله من تحول نظري هام. فهي تُعدُّ بمثابة قطيعة إبستمولوجية بين مضامين دروس العام الأول ودروس العامين التاليين ولاسيما دروس العام الثالث. نحن أمام مقاربتين مُختلفتين: مقاربة سيميولوجية ومقاربة لسانية. تهتم الأولى باللسان كنسق سيميولوجي، بينما تبحث الثانية في اللسان لا كحدث أو صيرورة *procès* وإنما من خلال الطبيعة المركبة للعلامة سواء كدال ومدلول أو في علاقتها بالعلامات الأخرى. (Amacker, 1975, p. 156)

لكن الناشرين تجاهلا هذه الحركية، فبداء بتعريف اللسان على أساس أنه نسق من العلامات ذات وجهين: دال ومدلول، ليخلصا بعد ذلك إلى أن «اللسان نسق من القيم»، أي أن مُنطلقهما يَختلف عن منطلق سوسير القائم على تحديد الطبيعة المعقدة للنسق أولاً، ثم المرور إلى تحديد العلامة وتعقيدها ثانياً. ولم تأخذ طبعة 1916 بعين الاعتبار إلحاح الأستاذ في نهاية دروس العام الثالث على أن «اللسان نسق من القيم»، ومن ثم لم يضع هذا التحول في الإطار النظري والمنهجي اللائق به انسجاماً مع مجمل تصورات سوسير في دروسه. (Petroff, 2007, p. 36) وكان لتجاهل مثل هذه التحولات أثر بالغ في عدم إدراك الناشرين لتعامل سوسير مع بعض

كانت الطبيعة النوعية للسان ضمن أنساق العلامات، فعندما نتصوره نسقاً من القيم نكون قد ثبتنا مكانته. (DCLG/ Komatsu, p. 118). ويشير سوسير إلى العلاقات التي يجب أن تقيّمها اللسانيات مع بعض العلوم في سياق تفاعل بينها يفرض بالضرورة إلى تبادل المعلومات والمعطيات والأدوات الإجرائية في إطار واضح للمجال الذي يشغل به كل علم على حدة. (DCLG/ Komatsu. p. 7) ومن ثمة يتعين على اللسانيات أن تُحدد موضوعها وتضبط مجالها وتُعرف نفسها بنفسها (CLG/ Engler, 1, p. 20, D4, J2109, IIC8).

ومن خلال هذه الأمثلة وغيرها، تعكس المصادر الأصول حركية فكر سوسير وتساؤلاته المتجددة. «تقرأ في الصفحة اليمنى من دفاتر الطلبة قضية، وتقرأ في اليسرى نقيضها؛ ليس ثمة أي تركيب». إنها عظمة سوسير على حد تعبير ياكبسن. (Fehr, 2000, p. 81).

وجدد سوسير في آخر دروس العام الثالث (حصّة مايو 1911) تصوره العام الذي أتبعه حتى الآن معلناً عن تمفّصل جديد للاستدلال المُتعلق بأحد الإشكالات الجوهرية في لسانياته متحولاً من تعامله مع اللسان من البسيط باعتباره نسقاً من العلامة إلى ما هو مركب فيه باعتباره «نسقاً من القيم»، ومنبهاً إلى أن الطريقة التي اتبعها في دروس العام الأول لم تكن صائبة من الناحية التصورية، إذ «لا ينبغي أن نبدأ بالكلمة أو الحد *terme* لنستنتج النسق، لأن ذلك يعني أننا نتصور أن الحدود *termes* لها قيمة مطلقة مسبقاً، وأنه للحصول على النسق يكفي أن نقوم برصها وبنائها الواحد فوق الواحد. يجب الانطلاق على العكس من ذلك، من النسق ومن الكل المترابط. إن هذا الأخير يتحلل إلى حدود، وهو ما لا يعني- كما قد يبدو- أنه من السهل أن نستخلصها.

الذي يجب أن يقوم بمسح كل ما هو تعاقبي لكل ما أنتح حالة في الزمان». ولكي يفهم اللساني نفسه تلك الحالة لا يمكنه أن يلج وعي أفراد المتكلمين إلا إذا تبنى وجهة النظر التي تتجاهل البدايات، TCLG/Komatsu, p. 107. وعبر سوسير عن الفكرة نفسها: « بالنسبة للكلمة المتكلمة فإن المنظور الذي تظهر فيه الألفاظ هو الواقع وليس شعباً أو ظلاً، ومن جهة ثانية يجب على الباحث اللساني إن هو أراد أن يفهم حالة لسان أن يضع نفسه في هذا المنظور (التزامني) وأن يترك المنظور الدياكروني والتاريخي الذي سيكون بالنسبة إليه عائقاً ومانعاً Ibidem, p. 125. ويتضح من المصادر الأصول أن الصياغة النهائية لقضايا اللسانيات التعاقبية عند سوسير لم تتم إلا قبيل نهاية سنة 1911، (TCLG/)، p. 210. (Komatsu.) وهي صياغة تختلف في مضمونها عما سبق عرضه في دروس العام الأول (1907). فقد أشار سوسير في دروس العام الثالث إلى أن التحولات التاريخية (اللسانيات التعاقبية) لا تتحصر في الجانب الصوتي للوحدات اللغوية أو في الإبداع القياسي، وإنما تؤثر في النسق اللغوي برمته؛ سواء فيما يخص العلاقة بين الوحدات اللغوية (أي القيم) أو تطور العلاقة بين وجهي العلامة الواحدة أي الدال والمدلول. ويمكن لهذه التغييرات النحوية والدلالية أن تقع دون تدخل التغيير الصوتي الذي يكون في الغالب الأعم نتيجة لصيرورة تاريخية. ويبدو أن المعادلة التي استخلصها الناشران من كلام سوسير بأن ما هو تعاقبي يرتبط بما هو تغيير في الأصوات ولا يمس في شيء ما هو نحوي دلالي معادلة غير سليمة. لقد أغفل الناشران الإشارة إلى الأهمية التي أولاها سوسير للدراسة التعاقبية ودورها البالغ في دراسة اللغة منذ دروس العام الأول (1907). وبعد أن فرق بين منظورين وفصل بينهما فصلاً جذرياً، ألح في القول على ضرورة البدء بالدراسة التعاقبية لأنه من الأفضل أن تبدأ دراسة اللسان بالوجهة التاريخية، ليس

القضايا. فقد أدرج سوسير القياس ضمن اللسانيات التعاقبية تارة واللسانيات التزامنية تارة أخرى. ولما كان اللسان نسقاً من العلامات فإن ظهور صيغ جديدة نتيجة للقياس الذي يغير العلاقات القائمة بين الكلمات مما يقود إلى تغير النسق اللغوي برمته، ليصبح القياس عاملاً حاسماً في التحول transformation اللغوي مما يجعله في صلب مباحث اللسانيات التعاقبية. غير أن وضع مفردات جديدة على منوال أخرى موجودة في النسق يعني إدخال قيم جديدة انطلاقاً من أن الكلمة الواحدة تتحدد في إطار علاقاتها السياقية والترابطية بغيرها. ولأن القيم التي استخدمت لتوليد كلمات جديدة هي القيم نفسها السائدة في أية معينة فإن القياس يصبح موضوع اللسانيات السانكرونية. أما الناشران فإنهما لم يلتفتا لهذه التحولات، فأبقيا على التصور الذي يحدد اللسان في أنه نسق من العلامات وهو تصور تم تجاوزه في نهاية الدروس (لصالح اللسان كنسق من القيم)، وهذا ما يفسر احتفاظهما بظاهرة القياس ضمن اللسانيات الدياكرونية. ومن الأمثلة البارزة لما يوحي به فكر سوسير من ثبات وسكونية في نص دروس تقديم الناشرين لتتميز اللسانيات التزامنية عن اللسانيات التعاقبية، وهو تقديم كانت له آثار سلبية على تلقي تصورات سوسير وتحديداً ما نجم عنه من فصل صارم بين التزامن والتعاقب. يستند تقديم دروس أساساً إلى دروس العام الأول (1907) وفيها ميز سوسير دراسة اللسان المنظور التزامني عن المنظور التعاقبي مشيراً إلى «أن الأفراد المتكلمين ليس لهم من الناحية العملية أي وعي بالتاريخ»، PCLG/Komatsu, p. 71. وعاد سوسير في العام الثالث ليؤكد مجدداً مضمون الفكرة التي سبق له أن عبر عنها في دروس العام الأول قائلاً: «عندما نتموضع من وجهة نظر الفرد المتكلم، فإن سلسلة الوقائع في الزمان شيء لا وجود له. فالفرد يكون أمام حالة Etat وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللساني

سوسير:» ينبغي أن نَبني نقطة انطلاق ثابتة ومُحددة كي نُقدّم مُجمل فرضياتنا بشكل ملائم. لكن ما نَسعى إلى تشبيته أنه من الخطأ أن نَقبل في اللسانيات حدثاً Fait واحداً يكون مُحدداً في ذاته. ثمة في الواقع غياب حتمي لأيّة نُقطة انْطلاق. وإذا رَغِب القارئ في متابعة فكرنا بعناية في أقسام هذا المؤلف؛ فنَحْن مُقْتَبِعُونَ أنه سيَعْرِف، إذا جاز لنا أن نُعبّر بهذه الطَّرِيقَة أنه كان من المستحيل علينا أن نتبع ترتيباً دقيقاً جداً. ونَحْن نستسمح القارئ في أن نَعرض على أنظاره الفكرة نفسها ثلاث أو أربع مرات وبصيغ مُختلفة لأنه لا توجد حقيقةً أيّة نقطة انطلاق نقيم عليها الاستدلال تكون أوضح من غَيْرها»⁽¹⁾. (Saussure, 2002, p. 198).

إن سوسير يُجسد -حسب ياكسن- الشكّ الكبير le grand douteur الذي يرى دائماً في المسائل المدروسة جانبين. (Fehr, 2000, p. 81)

وتتكرر أمام قارئ دفاتر الطلبة دينامية فكرية لا تتوقف. لقد تحدث سوسير بشأن طبيعة اللسان في دروسه عن تصورين مُختلفين، أو على الأقل لا يَسيران في اتّجاه واحد هما: اللسان كمؤسسة لا يُمكن مقارنتها بأيّ مؤسسة اجتماعية أخرى؛ ومن جهة ثانية: اللسان كمنطق يُمكن دراسته في إطار أنساق سيميولوجية أخرى، أي إنه يملك سمات مشتركة مع أنساق سيميولوجية أخرى. وعلى هذا الأساس، نستطيع أن ندرك الأسباب التي حدّت بالناشرين إلى إهمال المُقدّمة السيميولوجية التي تحدثنا عنها سابقاً. فهما لم يَسْتَوْعبا جيداً موقفين متباينين إزاء اللسان وخصائصه النوعية، ولم يتمكنا من التوفيق بينهما. وليس معنى هذا أنهما كانا يَجْهَلان طبيعة تفكير أستاذهما وزميلهما؛ وهما اللذان أشارا في تصدير نشرتهما إلى «إن دي سوسير ينتمي إلى أولئك

(1) انظر تحقيق هذا المقطع والتعليق عليه في علاقته بنص الدروس في:

Saussure (2003- 2005) Notes pour un livre sur la linguistique générale. Présentation et édition par Kazuhiro Matsuzawa. in Bouquet (2003). p. 319.

لأنها أهم من المنظور السكوني الذي تتعارض معه وحسب، بل لأن اللسان ينفلت من أيدينا. (PCLG/Komatsu, p. 27).

وأيّ كان الفصل الجذري بين المنظورين الذي عبّر عنه سوسير في دروس العام الأول، F. de Saussure. PCLG/Komatsu, p. 107. فإن ملحوظات الطلبة تكشف بوضوح عن إلحاح قوي لدى الأستاذ على أن الحقيقة التي يُمكن أن نتوصّل إليها في المنظور التزامني لا تُلغي الحقيقة الأخرى المتوصّل إليها في المنظور التعاقبي والعكس صحيح

F. de Saussure, TCLG/Komatsu, p. 121.

ويبدو أن الناشرين فهما كلام سوسير السابق على أنه إشارة قوية إلى أهمية المنظور التزامني وأسبقيته في دراسة اللغة معتبرين كلامه في سياق معرفي هيمن فيه التحليل التاريخي تصوراً مغايراً ومتميزاً. وبإعطائهما الأولوية للسانيات التزامنية، قاما بتنزيل كلام سوسير بشكل يتوافق مع انشغالهما بالتجديد النظري للدراسات التزامنية والدعوة الملحة إليها.

9 - سكونية دروس

على الرغم من التحولات المعرفية؛ فإن نشرة بالي تقدّم إلى قارئها تصورات سوسير كنظرية لسانية جاهزة ومتجانسة ومُكتملة الصياغة، بينما نعرف أن الرجل كان يعيش مخاضاً نظرياً ومتهجياً من أبرز مؤشرات عبارات التردد والتكرار التي طبعت أسلوبه. وتؤشر أسئلة سوسير المتغيرة باستمرار وتأرجح مواقفه وتردده القلق على سلوك عالم باحث عن حقيقة الأمور وليس مجرد مُنظر يسعى إلى تثبيت أجوبة نهائية. إنه تَارْجِح وتَسْوَع يجسدان لا فقط حركية التدرج النظري التي كان يجتازها سوسير متحولاً من صيرورة تأملية إلى أخرى؛ وإنما يبرز أساساً انعدام أية حقيقة أولى مُتفق عليها يُمكن باطمئنان الانطلاق منها في اللسانيات. يقول

وبدلاً من العمل على تقديم فكر سوسير في تحولاته عبر سنوات التدريس، حول الناشران المحاضرات إلى مؤلف عام ذي طابع تربوي، يظهر كتقديم مبسط ومبسط اختصر لسانياته في ثنائيات معزولة ومستقلة. ويبدو أن دروس أنجز من منظور تربوي يتوخى تقديم عرض نسقي ومتناسك للسانيات سوسير في صورة ثنائيات مُحَدَّدة وواضحة. لقد كان منظور الناشرين في أدق تفاصيله متأثراً بالرغبة في التوجه إلى أكبر عدد من القراء (Mounin, 1972, p. 60). ما كان يتعين عليهما حسب غودل (1959, p. 131) ليس الإمساك بالصورة النهائية لفكر سوسير، وإنما بصيرورته وتردده وتنوعه، لاسيما وأن بعض الصعوبات التي اعترضت دروس والانتقادات التي وجهت إلى لسانياته لم تكن غائبة عن ذهن صاحبها.

10 - استخفاف فيلولوجي

لم يحرص الناشران على الدقة المطلوبة والتحري اللازمين في إخراج الدروس كما هي مُدَوَّنة في المصادر الأصول. وبعد أن فحص غودل (1959, Godel) مصادر الناشرين وتتبَّع الظروف العامة المحيطة بعملهما، انتهى إلى «أن ثلاث سنوات (...) كانت كافية للناشرين لإعداد الكتاب وتحريره وطبعه وتصحيحه؛ وهو ما يشهد على نوع من العجلة علماً بأنّ بالي كان منشغلاً منذ أسدس الخريف 1913-1914 بدروسه كأستاذ كرسي خلفاً لسوسير. (p. 96) «واعتبر البعض أنه «إذا كان عزل النص عن السياق يعني حتماً تزوير النص، فربما يواجه مُحَقِّقو سوسير تهماً عظيمة في هذا المجال، لأنّ إخفاء جزء جوهري من المقرّر (الدروس) يقصد المقدمة السيميولوجية (لا يمكن أن يرقى إلى مستوى ممارسات التحقيق المعهودة» (هاريس، 2003/2016، ص. 51). ووصف دارس آخر إخراج نص دروس بأنه يجسد استخفافاً فيلولوجياً (Rastier, 2009, 2012 et, 2015).

الرجال الذين لا يقفون عند حدّ. فقد تطورت أفكاره في جميع الاتجاهات من غير أن تُناقض نفسها نتيجة لذلك «(دي سوسير، 1985/1916، ص. 6).

لكن قارئ دروس لا يجد أي صدى لتردد سوسير وشكّه في الوصول إلى حلول نهائية للتساؤلات التي طرحها، ولم تستطع نشرة بالي أن تمنح تأملاته تلك الصورة النابضة بالحياة التي كانت تبحث لنفسها عن إطار نظري يلف أشتاتها ويجمع بين المتقارب والمتباعد منها. فالناشران يقدمان سوسير في دروس كصاحب فكر مُكتمل ونهائي، سوسير الواصل في نفسه والصارم في التعبير عن مفاهيمه وتصوراتها. وهو ما جعل سياق تفكيره ساكناً جامداً لا يعرف أي توتر فكري أو قلق معرفي. نحن في دروس أمام فكر واضح وشفاف، تظهر فيه التصورات والمفاهيم أقرب ما تكون إلى البدهة وفي متناول القارئ دون إعمال للفكر. لكن ما يظهر مبتدلاً في تصورات سوسير ويعتقد قارئ دروس أنه يعرفه جيداً ليس إلا مظهراً خادعاً غالباً ما يضل القارئ. فما إن ونمّعن النظر في مفاهيم سوسير منفردة أو في علاقتها بغيرها؛ حتى تتناسل الأسئلة ويقوم الغموض والتناقض حائلين دون إدراك حقيقة أبعادها. وتكفي العودة لتتبع مفاهيم مثل اللغة واللسان والعلامة في كتابات سوسير لنلمس عمق الإشكالات وتشعبها. (غلغان 2016أ و ب). وكان ياكبسن على صواب حين أشار إلى أنّ التّعدّل الجوهري في دروس يتجلّى في المنحى العام الذي أتبعه الناشران في تغيير أسلوب سوسير، فحيث وضع هذا الأخير علامة استنفهام، وضع الناشران نقطة نهاية. (Fehr, 2000, p. 81).

إن إهمال الدينامية الداخلية التي لازمت تأملات سوسير يعني ببساطة أنّ الناشرين كانا يتصوران أنّ الأستاذ كان يَنطَلِقُ من نظرية لغوية جاهزة لم يبق على عاتقها سوى تقديمها. كان هدف الناشرين عرض فكر لساني تام Achevé قابل لأن يُقدّم لجمهور القراء والمهتمين باللسانيات ومحبّيها بكيفية مُحَدَّدة ونسقية.

- خاتمة

من النتائج المباشرة لإعادة قراءة نص دروس في ضوء المصادر الأصول نذكر ما يلي:

أ- ظهور مجموعة من التأويلات الجديدة تخص مفاهيم سوسير وتصويراته.

ب- توضيح الجوانب الغامضة في التصورات والمفاهيم الواردة في نص دروس.

ج- إعادة النظر في تأويل الثنائيات الشهيرة،

د - تقديم لسانيات سوسير كمنظومة نظرية متكاملة قابلة لأن يُنظر إليها في سياق الإنجازات التي حققتها اللسانيات في مرحلة ما بعد البنيوية بعد بروز النحو التوليدي وتحليل الخطاب والتداولية.

هـ- محاولة إدماج تصورات سوسير في خضم تحولات اللسانيات وانفتاحها على فلسفة اللغة العادية وقضايا التأويل بكل أبعاده وجوانبه اللغوية والاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية.

وكان للمقاربة الفيلولوجية التي دشنها غودل وسار عليها أنغلر ودو مورو وآخرون نتائج مباشرة أبرزها:

أ - العودة إلى سوسير ونصوصه بشكل لافت للنظر؛

ب - إغناء مضامين نصّ دروس في اللسانيات بالعديد من النصوص المُكملة له.

ج - خلخلة كثير من الأحكام والمواقف إزاء لسانيات سوسير.

وبالرغم مما كتب عن نشرة بالي، فإن المرء لا يُمكنه إلا أن يبدي إعجابه الشديد بالبراعة التي نجح بها الناشران في «تحويل مادة متنافرة ومفككة وغامضة إلى حد ما إلى نثر سلس وواضح لافت للنظر أحياناً» (هاريس، 2016/2003، ص. 65). لقد استطاعا تقديم أفضل نصّ متكامل للسانيات سوسير، إذ يعدُّ نص دروس

تأويلاً يُجسّد فهم الناشرين لتصورات الرجل في سياق معرفي محدد، أي- حسب تعبير أنغلر- سوسير 1916 المُناسب للسانيات الفترّة الواقعة بين 1916 و 1957 (Engler, 2003, p. 18) ومن جهة ثانية، لم يعد من المقبول بعد ظهور أعمال غودل وأنغلر ودو مورو وغيرهم أن تُنسب إلى سوسير أي عبارة من دروس دون التثبت من أنها ليست ببساطة من تحرير الناشرين (Petroff, 2007). ويتضح أن الطبعة الشائعة لم تعدّ لا كافية ولا ملائمة لفهم تصورات سوسير وتحديد دقائق المفاهيم التي تضمّنتها. لقد أصبحت لسانيات سوسير في ضوء المصادر الأصول قابلة لتلقي مُغاير يتشكل في صورة تختلف عن الصورة النمطية التي رسّمتها له نشرة بالي وزميله زهاء ما يزيد عن نصف قرن.

قائمة المراجع

- أرفيه ميشال (2009) البحث عن سوسير، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، (ترجمة محمود خير البقاعي)

- غلفان مصطفى (2014) اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

- غلفان مصطفى (2017) لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

- غلفان مصطفى (2017ب) اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول. بيروت. دار الكتاب الجديد المتحدة.

- هاريس روي (2016/2001) سوسير ومؤلوله، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، (ترجمة أ. شاعر الكلابي قيد الطبع)

- سوسير (1916/1985). دروس في الألسنية العامة. تونس. الدار العربية للكتاب. (ترجمة محمد الشاوش ومحمد عجينة، مراجعة صالح القرماذي).

Paris, Payot, 1974, (Edition critique préparée par Tullio de Mauro.

CLG/ Engler = Saussure, Ferdinand de (1916) Cours de linguistique générale, Tome 1, (1968) Tome 2 Appendice, (1974) Notes de F. de Saussure sur la linguistique générale, Edition critique par Rudolf Engler, Otto Harrassowitz, Wiesbaden.

Engler, Rudolf (2003) Polyphonie, Simon Bouquet, éd. (2003). 1619-.

Fehr, Johannes (2000) Saussure entre linguistique et sémiologie, Paris, PUF.

Gambarara, Daniele (2005) Un texte original, CFS, 58, Paris, Droz. 2942-.

Godel, R (1954) Notes inédites de F, de Saussure, CFS, 12, Paris, Droz. 4971-.

Godel, Robert (1959/ 1969) Les sources manuscrites du CLG de F. de Saussure, Genève, Droz.

Mejia Quijano, Claudia (2005) Sous le signe du doute, Présentation des textes d'Emile Constantin, CFS 58, Paris, Droz. 4951-.

Pergnier, Maurice (2012) De Saussure à Saussure, Bruxelles, Editions l'Age de l'Homme.

Pétroff, André-Jean (2004) Saussure: la langue, le bord et le désordre, Paris, L'Harmattan.

References bibliographiques

Amacker, René (1975) La linguistique saussurienne, Genève, Droz.

Bouquet, Simon (1997) Introduction à la lecture de Saussure, Paris, Payot.

(2003) Saussure un siècle après, in Simon Bouquet éd. (2003).

éd. (2003) Saussure, Cahiers L'Herne 76, Paris.

Bergounioux, Gabriel (1993) Le tournant psychologique de la linguistique saussurienne: l'exemple de Bally et Sechehaye, Communication du 11 juin 1993 au Colloque, La psychologie et ses frontières du XIX ième siècle à nos jours, Actes polygraphiés du colloque. 361-377.

Calvet, Louis Jean (1974) Pour et contre Saussure, Paris, Payot.

Constantin, Emile (2005) Linguistique générale, Cours de M. le Professeur de Saussure, 19101911-, CFS, 58. Paris, Droz. 83290-. Suivi de Saussure, F. de : Notes préparatoires pour le cours de linguistique générale 19101911-. (Texte établi par Gambarara, D et Mejía Quijano, C).

CLG/ De Mauro = Saussure, Ferdinand (1916) Cours de linguistique générale,

1909) Introduction d'après des notes d'étudiants, CFS, 15, Genève, Droz. 6-103.

Saussure, F de (1993) Saussure's Third Course of Lectures on General Linguistics (1910-1911-) From the Notebooks of Emile Constantin, Edited and translated by Eisuke Komatsu and Roy Harris, Oxford, New York, Pergamon = (TCLG/ Komatsu).

Saussure, F. de (1996) Saussure's, First Course of Lectures on General Linguistics (1907) From the Notebooks of Albert Riedlinger, Edited and translated by Eisuke Komatsu and George Wolf, Oxford, New York, Pergamon, = (PCLG/ Komatsu).

Saussure, F. de (2002) Ecrits de linguistique générale (= ELG), Paris, Gallimard, (Texte anoté par S. Bouquet et R. Engler).

Pétroff, André-Jean (2007) L'autre Saussure, in Siemen, <http://semen.org/> 4281.

Rastier, François (2003) Le silence de Saussure ou l'ontologie refusée, in Simon Bouquet, éd. (2003) Saussure, Cahier de l'Herne 76, Paris. 2351-.

Rastier, François (2005) Saussure au futur, Ecrits retrouvés et nouvelles réceptions, Texto! <http://www.revue-texto.net/> Saussure/ Sur Saussure / Rastier_Saussure, html.

François Rastier, 2009. Saussure et les textes- De la philologie des textes saussuriennes et la théorie saussurienne des textes, Texto (revue- texto.net, volume, XIV, n°3, 2009.

Rastier, François (2012) Lire les textes de Saussure, Langages 185, Paris, A. Colin. 720-.

Rastier, François (2015) Saussure au futur, Paris, Les Belles Lettres, (Collection encre marin) .

Rousseau, André (2006) Saussure descripteur des langues à la lumière d'un cours inédit sur le gotique, in Louis de Saussure (2006) Nouveaux regards sur Saussure, Genève, Droz. 7194-.

Saussure, Ferdinand de (1957) Cours de linguistique générale, Cours II (1908-